وزارة التعليم العالي والبحث العلمي المادة : علم الصوت (الصف الثاني)

جامعة الانبار – كلية الآداب أستاذ المادة : أ.د. علي حسين

قسم اللغة العربية الفصل الثاني (٢٠١٩ - ٢٠٢٠)

المحاضرة (الثالثة عشرة)

ثانيًا :(تصنيف الأصوات إلى جامدة وذائبة)

لاحظ علماء الأصوات اللغوية أنه يمكن أن تقسَّمَ أصوات اللغة على مجموعتين كبيرتين استناداً إلى درجة انفتاح آلة النطق عند إنتاج تلك الأصوات ، فقد لاحظوا أن مجموعة من الأصوات لا يحدث في أثناء إنتاجها إلا اعتراض محدود على مجرى النَّفَس ، مع اهتزاز الوترين ، فيمر الهراء حراً خلال الحلق والفم ، من غير أن يحدث احتكاكاً مسموعاً في مخرج الصوت ، ويكون ذلك في نطق الذوائب (المصوتات) ، التي سمَّاها أكثر علماء العربية حروف المد واللين ، وهي الألف الساكنة المكسور ما قبلها . والحركات الثلاث : الفتحة والضمة والكسرة، وشأنها شأن حروف المد ، لأنها أبعاضها ، وهذه الأصوات كلها مجهورة ، ولولا الجهر فيها لصارت أقرب إلى النَّفَس المجرد غير المسموع ، بسبب اتساع مخارجها . وما عدا الذوائب يسمى الجوامد (الصوامت) ، ويحدث في أثناء نطقها غلق لمجرى النفس أو تضييق كبير في مخارجها ، ويؤدي إلى حدوث احتكاك تتفاوت شدته بتفاوت درجة التضيقق أو الغلق . وقد يهتز الوتران الصوتيان عند النطق بعدد من هذه الأصوات فتكون مجهورة ، وقد لا يهتزان مع عدد آخر فتكون مهموسة . ويعرفَّ علماء الأصوات المحدثون الصوت الذائب (المصَّوت) بأنه الصوت المجهور الذي يحدث في أثناء النطق به أن يمر الهواء حرّاً طليقا خلال الحلق والفم ، دون أن يقف في طريقه عائق أو حائل ، دون أن يضيق مجرى الهواء ضيقاً من شأنه أن يُحْدِثَ احتكاكاً مسموعاً . كما عرَّفوا الصوت الجامد (الصامت) بأنه الصوت المجهور أو المهموس الذي يحدث في أثناء نطقه اعتراض لمجرى النفس في مخرج الصوت اعتراضاً كاملًا أو اعتراضاً جزئياً يؤدي إلى حدوث احتكاك مسموع . ويتصل بموضوع تصنيف الأصوات إلى جامدة وذائبة أمران ، الأول : الحديث عن وجود هذا التصنيف للأصوات في كتب التراث الصوتي العربي ، والثاني : الإشارة إلى المصطلح المناسب للتعبير عن هذين الصنفين . أما وجود هذا التصنيف في كتب التراث الصوتي العربي فإن حديث كثير من الأصواتيين العرب يُفهم منه أنه شيء جديد في علم أصوات العربية ، وأنه جاء ترجمة لتصنيف الأصوات عند الغربيين إلى ما يعبرون عنه بالمصطلح وبالمصطلح . ولكن ذلك شيء غير دقيق ، وينم عن عدم اطلاع على الكثير من كتب التراث الصوتي العربي . ونحن هنا لا نستدل على وجود هذا التصنيف في تراثنا من خلال ما ورد فيه من نصوص توضح إدراك علماء العربية لطبيعة حروف المد والحركات وتمييزها عن الأصوات الأخرى ، مثل قول سيبويه : "وهذه الحروف غير مهموسات ، وهي حروف لين ومد ، ومخارجها متسعة لهواء الصوت ، وليس شيء من الحروف أوسعَ مخارجَ منها ، ولا

أَمدَّ للصوت ، فإذا وقفتَ عندها لم تضمَّها بشفةٍ ولا لسان ولا حلق كضم غيرها". ومثل قول المبرد " وحروف اللين تمتنع من الإدغام لِعِلَلٍ : منها أن الألف التي هي أمكن حروف اللين لا تدغم في شيء ، ولا يدغم فيها شيء ... ومنها أن في الياء والواو مدّاً ولِيناً . . . وهي حروف بائنة من جميع الحروف . . . لأنه ليس كلمة تخلو منهما ومن الألف ، أو من بعضهن ، وبعض حركاتهن ، فحروف المد حَيِّزٌ واحد على حدة " . وإنما نستدل على وجود هذا التصنيف من خلال نصوص واضحة الدلالة ، ومن علماء متعددي الأزمان ، متنوعي التخصصات ، والتوجهات ، مثل قول أحمد بن أبي عمر الأندرابي (ت في حدود ٥٠٠هـ) .

"والحروف الذائبة ثلاثة : الياء المكسور ما قبله ، والواو المضموم ما قبله ، والألف ولا يجئ إلا مفتوحاً ما قبله ، وهذه الحروف حروف المد والين ، سُمِّيَت بذلك لأنها تذوب وتلين وتمتد . وما عداها جامد ، لأنه لا يلين ولا يذوب ولا يمتد" . ومثل قول أبي شجاع محمد بن علي المعروف بابن الدهان (ت٥٢٩هـ) اللغوي والفقيه البغدادي الأصل : "والحروف تنقسم إلى صامتة ومصوتة : فالصامت ما يتمكن من مطلعه ، ويتميز به الصوت ، مثل س ع د . والصوت ما يخرج في الهواء ، فيحمل الحرف الصامت إلى السمع ، كالضمة والفتحة والكسرة ، التي متى مُطلت صارت و، ا ،ي".

وهذه النصوص واضحة في الدلالة على إدراك علماء العربية والتجويد لطبيعة صنفي الأصوات الجامدة والذائبة (الصامتة والمصوتة) ، ولا تحتاج منا الى تأويل للدلالة على أنها تلتقى مع أسس تصنيف الأصوات لدى المتحدثين إلى ذينك الصنفين، وهي ليست النصوص الوحيدة في هذا المجال ، ولكن طلب الايجاز يحملنا على الاكتفاء بها هنا ، وسوف نعود إلى جوانب من هذه القضية عند الحديث عن الذوائب في التراث الصوتي العربي ، في المبحث الخاص بالذوائب ،إن شاء الله تعالى . اما المصطلحان المعبران عن هذين الصنفين من الأصوات فانت ترى أن من علماء السلف من استخدام مصطلح (الجامد) ومصطلح (الذائب) خاصة عند علماء التجويد ، ومنهم من استخدم مصطلح (الصامت)و (المصوت) خاصة عند الفلاسفة والحكماء .

أما الأصواتيون العرب المحدثون فانهم اختلفوا في استخدام مصطلحين لذينك الصنفين من الأصوات ، اختلافاً يربك المتعلم ، ويشوش على القارئ ويدل على تشتت الجهود وبعثرتها في مجال البحث في هذا العلم والتأليف فيه فكان الدكتور إبراهيم انيس ــرحمه اللهــ رائد الدراسات الصوتية العربية الحديثة فقد استخدم مصطلح الأصوات الساكنة ، وأصوات اللين . واستخدم الدكتور تمام حسان مصطلحي الصحاح والعلل ، واستخدم الدكتور محمود سعران ــرحمه اللهــ مصطلحي الصوامت والصوائت ، واستخدم الباحثون الاخرون الذين جاءوا بعد هؤلاء مصطلحين من تلك المصطلحات ، لكنهم لم يتفقوا على استخدام موحد .

وهذا التعداد في الاستخدام للمصطلح أحد مظاهر القصور في الدراسات الصوتية العربية المعاصرة ، ولابد للأصواتيين العرب من تجاوز ذلك ، وهو امر قريب المنال ،لأن في التراث الصوتي العربي ما يعين عليه ، إذا ما صحت النوايا توحدت الجهود

وكنت قد استخدمت مصطلحي (الصامت __والمصوَّت) ورجحتها على ما سواهما في بحث "المصوتات عند علماء العرب" لأصالتهما في التراث الصوتي العربي ، لان اشتقاقهما الصرفي يساعد في ذلك ، ولكني اطلعت بعد ذلك بسنوات على استخدام عدد من علماء التجويد لمصطلحي (الجامد والذائب) فصرت أُرجح استخدامها ، لأسباب بينتها من قبل . لكني الآن أفضل الاستخدام المزدوج : الجامد (الصامت) والذائب (المصوت) إلى أن يغلب الاستخدام لأحد المصطلحين، وقد لا أدرك ذلك الزمان ، والله أعلم .

والله الموفق